جامعة القاهرة
كليــة دار العلـوم
قسم الشـريعة الإسـلامية

جهود أبي زهرة الأصولية والفقهية

رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إعـداد

خالد محمد راتب عبد الفضيل

إشـــراف

الأستاذ الدكتور

محمد السيد الدسوقي

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء وشكر وتقدير إلى:

إلى أبي اعترافا بفضلها الكبير

وزوجتي التي مكنتني في متابعة المسير في هذا الدرب الشاق الطويل.

وكل مسلم يحب العلم ويسعى في طلبه

وأخص بالشكر أصحاب الفضل الأكبر في إعداد هذه الرسالة وهم:

الأستاذ الدكتور محمد السيد الدسوقي الأستاذ بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

والأستاذ الدكتور عبدالفتاح إدريس أستاذ ورئيس قسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر الشريف.

والأستاذ الدكتور صلاح سلطان الأستاذ بقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة،ورئيس الجامعة الإسلامية الأمريكية سابقا.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد– صلى الله عليه وسلم–، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهداة الراشدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن شريعة الإسلام هي المحجة البيضاء، والصراط المستقيم، شرعها الله تعالى بعلمه، وأنزلها على خاتم أنبيائه ورسله– صلى الله عليه وسلم– ووفر لها أسباب القوة والحفظ ما جعلها خالدة على الدهر، معصومة من الميل والضلال، ويسر– عز وجل– لها منذ عهد الصحابة والتابعين ومن جاءوا بعدهم أقواما آمنوا بها وأخلصوا لها، فأصلحوا أحوال الناس على ضوئها، وفي نطاق مبادئها وقواعدها، لأنها شريعة تحيط بشئون الحياة في جوانبها العقدية والعبادية والتعاملية والنظامية والإدارية والحكمية والسياسية والاجتماعية.

ولقد كان الفقه الإسلامي– ولا يزال– مظهرا من مظاهر عناية الأمة بهذه الشريعة المطهرة، فالفقه الإسلامي بأصوله وقواعده ومذاهبه، هو المصدر الأعظم للتقنين والتشريع في مختلف العصور، وكتبه ومصنفاته هي المراجع الأصيلة لكل من أراد أن يستقي من المنابع الصافية.

وفي العصر الحديث قيض الله – عز وجل– للفقه الإسلامي أعلاما بارزة،اعتنوا بالشريعة الإسلامية،ووهبوا حياتهم لها، ومن هؤلاء الأعلام الإمام أبوزهرة الذي أتحف المكتبات الإسلامية وقاعات العلم بعلمه وفقهه، هذا العلم الذي يعد مدرسة في البحث والنظر والاستنباط والترجيح معتمدا في ذلك على أصول الشرع وقواعده.من أجل ذلك استهوتني شخصيته الأصولية والفقهية،فأردت أن أفرد لها بحثا مفصلا للوقوف على جهوده الأصولية والفقهية.

سبب اختيار الموضوع وأهميته:

١- منزلة الأصول والفقه في الشريعة الإسلامية، فالفقه بأصوله وقواعده هو المصدر الأعظم للتقنين والتشريع في مختلف العصور، فعلم الأصول يؤسس الأدلة، والفقه يبني الأحكام على هذه الأدلة.

٢- شخصية الإمام "أبوزهرة"- رحمه الله- تستحق الدراسة- بل الدراسات- فأثره واضح في الشريعة الإسلامية، فهو علم من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، ورائد من رواد الفقه الإسلامي، أسهم في هذا الميدان بجهود مشكورة جمعت بين الأصالة والمعاصرة، وقد لاحظ الباحث أن الإمام "أبوزهرة" لم يدرس حتى الآن دراسة شاملة تجلو مكانته وأثره، وتعرض لحياته وكتبه عرضا وافيا على الرغم من مؤلفاته الكثيرة، وما تمتع به من صفات علمية وخلقية ؛لذا آثرت القيام بدراسة الإمام "أبوزهرة" بغية الكشف عن بعض جوانب تراثنا الفقهي، وقياما بواجب الوفاء نحو فقهائنا الأعلام ومحاولة للاستهداء بما زخرت به حياتهم من مثل وقيم نحن في حاجة ماسة إليها في عصرنا الحاضر.

٣- تخصيص رسالة جامعية لإمامنا الشيخ "أبوزهرة" يفيد الباحثين والدارسين عموما والمهتمين بالفقه على وجه الخصوص؛ لأن فكر الشيخ الأصولي والفقهي له مميزات قلما اجتمعت في غيره، فيتعرف الدارسون عن طريق إلقاء الضوء على جهوده كيف تكون هذا الفكر وكيف نمى، وما أسسه ومرتكزاته؟كل ذلك للسير على خطاه.

٤- كثرة المعالجات والفتاوى الواقعية التي تعرض لها الشيخ تسهم في تتبع ودراسة منهجيته في الفهم والاستنباط والفتوى.

٥- الشيخ أبوزهرة له قبول ملموس في الأوساط العلمية،ولآرائه رواجا بين أفراد كثيرين،وكفى به فخرا أن تتلمذ على يديه الشيخ الغزالي.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات سابقة تناولت شخصية الشيخ"أبوزهرة"، من هذه الدراسات:

١- رسالة ماجستير بعنوان: أبوزهرة عالما إسلاميا: حياته ومنهجه في بحوثه وكتبه، للباحث: ناصر محمود حسن، بكلية الآداب قسم اللغة العربية،جامعة عين شمس١٩٩٣م، نال بها الباحث درجة الماجستير،وقد بذل الباحث جهدا مشكورا في إعدادها وصياغتها وتوثيقها، ولكن الرسالة كانت عرضا سريعا لكتب الشيخ دون تعمق في فقهه.

٢- رسالة ماجستير عن جهود الشيخ "أبوزهرة" الدعوية بكلية أصول الدين جامعة الأزهر١٩٨٩م، للباحث منجد السيد عبد الغني شادي وبالرغم من الجهد المبذول في جمع مادتها العلمية إلا أنها اهتمت بالجانب الدعوي بحكم عنوانها.

٣- ترجمة عن الشيخ وبعض أعماله، لكل من: الأستاذ أبوبكر عبد الرزاق، الذي ألف ثلاثة كتب عن الشيخ"أبوزهرة"، الأول بعنوان: أبوزهرة إمام عصره، والثاني بعنوان: أبوزهرة في رأي

علماء عصره، والثالث بعنوان: أبوزهرة وقضايا العصر ، وبالرغم من الجهد المبذول من المؤلف في تجميع المادة العلمية وشمولها إلا أنه كان يميل إلى الكتابة الصحفية أكثر ،ولم يهتم كثيرا بالتوثيق وعدم نسبة الأقوال إلى أصحابها في الغالب ورغم ذلك فقد استفاد الباحث منه ،كما استفدت من الرسائل الأخرى، والعمل الثاني للدكتور: محمد عثمان شوبير بعنوان:محمد أبوزهرة إمام الفقهاء المعاصرين والمدافع الجريء عن حقائق الدين،ذكر فيه مؤلفات الشيخ وبعض الملامح عن فقهه، وهو مفيد جدا، استفاد منه الباحث، ولكنه جاء مختصرا، وذلك للغرض الذي ألف من أجله.

٤- دراسة لفتاوى الشيخ "أبوزهرة" جمعها الدكتور محمد عثمان شوبير في مجلد كبير بعنوان: فتاوى الشيخ محمد "أبوزهرة" جمع ودراسة وتحقيق، وهذا مما استفاد منه الباحث كثيرا، ولكن كان جل اهتمام المؤلف هو الجمع، وإن علق على بعض الفتاوى.

لهذا قرر الباحث أن يكتب عن الشيخ" أبوزهرة" كتابة تبين ملامح حياته، وتعرف بكتبه وأبحاثه وآثاره تعريفا يبين مضامينها ومنهجها، وتبين مكانته العلمية، وتأثره وتأثيره في المعاصرين له، وبيان منزلته العلمية، وجهوده الأصولية والفقهية.

منهج البحث وخطته:

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي في فهم الفكر الأصولي والفقهي للشيخ "أبوزهرة"، والمنهج التحليلي في دراسة بعض الاجتهادات الفقهية– عند التعرض لسمات فقه الشيخ، ومعالم منهجه الفقهي– بهدف التوصل إلى مدى مطابقة الاجتهادات الفقهية مع فكره الأصولي.وهذا لا يمنع من استخدام المناهج الأخرى أثناء ثنايا البحث؛ لأن المناهج العلمية متداخلة ومتكاملة.

واقتضت خطة البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة يتلوها ذكر المصادر والمراجع والفهارس:

أما المقدمة: فيتحدث فيها الباحث عن سبب اختيار الموضوع وأهميته والمنهج الذي سار عليه والدراسات السابقة في هذا الموضوع.

الباب الأول: (الإمام أبوزهرة: حياته وعصره)، ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: حياة الإمام وآثاره،ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشأة الإمام وتطور حياته.

ويضم أربعة مطالب:

المطلب الأول: مولده ونسبه ووفاته:

المطلب الثانى: الإمام ورحلته العلمية.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المبحث الثانى: شخصيته وثقافته.

المبحث الثالث: آثاره العلمية.

الفصل الثاني: لمحات عن عصر الإمام ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الحياة السياسية.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحياة الفكرية.

المبحث الرابع: الحياة الاقتصادية.

الباب الثاني:(جهود "أبوزهرة" الأصولية) ويشتمل على تمهيد وفصلين:

التمهيد: أهمية أصول الفقه.

الفصل الأول: منهج الشيخ في دراسة أصول الأئمة،والتأليف الأصولي .

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج الشيخ في دراسة أصول الأئمة .

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: هدف الشيخ من دراسة أصول الأئمة.

المطلب الثاني: أصول الأئمة وأهم الخصائص المميزة لهذه الأصول.

المبحث الثاني: منهجه في التأليف الأصولي.

الفصل الثاني: الفكر الأصولي للإمام "أبوزهرة".

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:الأسس التى بنى عليها الشيخ تفكيره الأصولى.

المبحث الثاني: الإمام أبوزهرة وتجديد علم أصول الفقه.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التجديد ومشروعيته ومجالاته وضوابطه.

المطلب الثاني: المشروعية التاريخية لتجديد علم أصول الفقه.

المطلب الثالث: مفهوم تجديد علم أصول الفقه ومجالاته.

المطلب الرابع: دور"أبوزهرة"في تجديد علم أصول الفقه.

المبحث الثالث:الإمام أبوزهرة وعلم المقاصد.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أهمية علم المقاصد.

المطلب الثاني: مظاهر اهتمام الشيخ بعلم المقاصد.

الباب الثالث: (جهود الشيخ "أبوزهرة" الفقهية)، ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: الفقه الإسلامي وتطوره.

الفصل الأول: جهود الشيخ في تجديد الفقه الإسلامي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تجديد الفقه: مفهومه – مبرراته– ملامحه.

المبحث الثاني: ملامح التجديد الفقهي عند الشيخ "أبوزهرة".

الفصل الثاني: سمات فقه الشيخ "أبوزهرة" من واقع اجتهاداته وفتاويه.

الفصل الثالث: معالم المنهج الفقهي عند الشيخ "أبوزهرة".

الخاتمة: ففيها أهم النتائج والتوصيات.

هذا هو الإطار العام للمنهج الذي سار عليه الباحث في دراسته، والعمل الإنساني – دائما– يعتريه النقص؛لأن الكمال لله وحده،وكل ما يرجوه الباحث أن تحقق هذه الدراسة الغاية منها، وأن تكون خالصة لوجهه الكريم، وأن يتقبلها الله منه،إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباب الأول

الإمام أبوزهرة: حياته وعصره

الفصل الأول: حيـــاة الإمـــام وآثـــــاره

الفصل الثاني: لمحات عن عصر الإمام

الفصل الأول

حياة الإمام "أبوزهرة" وآثاره

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشأة الإمام وتطور حياته.

المبحث الثانى: شخصيته وثقافته.

المبحث الثالث: آثاره العلمية.

المبحث الأول

نشأة الإمام وتطور حياته

ويضم أربعة مطالب:

المطلب الأول: مولده ونسبه ووفاته.

المطلب الثانى: الإمام ورحلته العلمية.

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه.

المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الأول

مولده ونسبه ووفاته

مولده ونسبه:

ولد الإمام محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبد الله المعروف بـ (أبو زهرة) فى عام ١٣١٦هـ الموافق التاسع والعشرين من شهر مارس ١٨٩٨م بالمحلة الكبرى إحدى مدن محافظة الغربية، وهى مدينة عريقة ذكرها ابن بطوطة فى رحلته حيث قال: "وهى جليلة المقدار، حسنة الآثار، كثير أهلها، جامع بالمحاسن شملها "[١].وهى من أهم المراكز الزراعية والصناعية والتجارية في مصر، فتحيط بها مزارع القطن،وتجلب إليها المحصولات الزراعية، وتقوم على ربوعها مصانع الغزل والنسيج، ونشأ فى أكنافها فطاحل العلماء أمثال: سراج الدين البلقيني، وجلال الدين المحلى، وابن حجر الهتيمى، والشيخ توفيق محمد سبع، والشيخ يوسف القرضاوى.. وغيرهم[٢].

أسرته: ينتسب الشيخ أبو زهرة إلى أسرة كريمة من أبرز عائلات المحلة فى تلك الفترة وهى عائلة "أبو زهرة "وعميدها مصطفى أبو زهرة الششتاوى الملقب "بشيخ المحلة "لمعرفته بالعلوم الدينية والدنيوية، ولوقوفه مع المحلة ضد ظلم القصر وأعوانه، ولقب بالششتاوى نسبة إلى بلدته الأصيلة "ششتا "مركز زفتى بمحافظة الغربية، وله مسجد معروف بمسجد الششتاوى، وإذا كان جده وجيها فى قومه، فإن والده عرف بالدين والتمسك بأحكام الإسلام ومكارم الأخلاق وحفظ القرآن الكريم، وكذلك والدته (خضرة)، كانت تحفظ القرآن الكريم حفظا جيدا، ترتله ترتيلا، وتراجعه مع أولادها؛ حيث كانت تراجع لابنها محمد ما يحفظه فى المكتب، ولقد نجح

---

١)) انظر رحلة ابن بطوطة ١٢/١ .

٢) المحلة الكبرى، لمحمود الشرقاوى ومحمد رجب، ص ٢٧، ٣١، ٣٥، ٨٠، ٨٨، علماء ومفكرون د: محمد عثمان شبير ص٢٤، ٢٥.

الوالدان فى تربية أولادهما وتعليمهم أحسن تعليم، فالأخ الأكبر "عبد الفتاح" تعلم القانون، وعمل وكيل محام بمدينة المحلة الكبرى، توفى سنة ١٩٦٩م، والأخ الثانى واسمه "مصطفي" وهو أكبر من الشيخ أبو زهرة سنا تعلم الهندسة وعمل أستاذا لعلم الطيران المدنى فى هندسة القاهرة، وهو منشئ فن الطيران فى مصر توفى سنة ١٩٤٦م، وأخوه الثالث "عبد العزيز "وهو أصغر من الشيخ سنا، توفى سنة .١٩٧٠م،وترك ولدا مهندسا اسمه "رشيد " وبنتا عملت مُدرسة اسمها "عايدة "وتعهدهما الشيخ أبو زهرة بالرعاية والتربية، وأما أخوات الشيخ فهن: "سكينة "وعملت مديرة مدرسة بالقاهرة،و "فاطمة "،

و "روحية "[١].

وأسرة أبو زهرة تنتهى إلى الأشراف، ولكنها لا تدعى ذلك.. لعدم ثبوت هذا النسب بشكل قطعى.

وأما أسرته الخاصة: فقد اختار شريكة حياته بعد أن انتهى من التحصيل العلمى، وعقد عليها سنة ١٩٢٩م؛ لكنه لم يدخل بها إلا فى عام ١٩٣١م، ولا يعنى ذلك زهده فى النساء؛ ولكنه يعتبر العلم وتحصيله من أولى الأولويات فى حياته، ولابد أن يأخذه بقوة وجد لا هزل فيه، فقد عبر عن هذه التجربة بقوله: "لقد كانت حياتى فى ميعة الصبا جادة لا هزل فيها، لا لكره فى النساء، ولكن لجد العمل، ولما نلت مطلبتى من العلم أخذت أفكر فى النساء للزواج فتزوجت.. "[٢].

وكان الشيخ شديد الحب لزوجته وأسرته، ومما يدل على حبه لزوجته شدة تألمه لما أصيبت بكسر؛ حيث قال: "واختبرنا الله من بعد همٍّ واصب، بأن

---

١) انظر أبو زهرة إمام عصره، لأبى بكر عبد الرازق ص,٤

٢) تجربتى مع الحياة،للعلامة الشيخ أبو زهرة، مجلة الهلال، ص٥٦ –٥٧.

أصاب رفيقة حياتى كسرٌ أقعدها وأقعدنى بالغم الشديد والكرب البعيد، العميق فى النفس، لكن أنس القرآن خفف همى، وكشف غمى؛ لأنه ملأها إيمانا بقضاء الله وقدره"[١]

وأنجب الشيخ من زوجته ولدين وأربع بنات، الولد الكبير "أحمد" دكتور صيدلانى، والثانى "مصطفى" طبيب أسنان، ورئيس جمعية أبو زهرة. وأما البنات فهن: "أميرة" وعملت رئيسة قسم بالجهاز المركزى، و"سهير" تزوجت فى سنة مبكرة، و"نادية" حصلت على الدكتوراه فى الاجتماع من إحدى جامعات إنجلترا، و"حياة النفوس" وكانت أستاذة فى الطب فى كلية طب القصر العيني[٢].

وكان الشيخ له طريقة خاصة فى تربية أبنائه تقوم على أساس القدوة الحسنة والحوار وتوليد القناعة، وتبتعد عن الأمر والنهى والإجبار والإكراه والترهيب، فحينما سئل عن طريقته فى تربية أبنائه قال:" الترهيب لا يوجد خلقا، ولكن يربي انعدام الإرادة، فكل تربية تقوم على الخوف المجرد لا جدوى منها ، وكل تربية تقوم على تكريم الإرادة التى تتجه إلى خط مستقيم منتجة دائما، وأول تربية تربية روح الدين والأخلاق فى نفس الأسرة الحقة ، فمن يتولى تربية الدين فى نفس الطفل يجب أن يكون متدينا، ومن يأمر بالصلاة يجب أن يكون مصليا، فالأسوة الحسنة هى الابتداء، وتجىء بعد الموعظة.. بعد ذلك التهذيب.. فالإقناع قبل اللوم، واللوم من غير إقناع إرهاق[٣].

وفاته:

١) المعجزة الكبرى، للشيخ أبو زهرة ص ٦ .
٢) علماء ومفكرون د: محمد محمد عثمان شبير ٩٣ .
٣) علماء ومفكرون د: محمد محمد عثمان شبير ٩٣ .